ألف حكاية وحكاية (١١١)

# الحفيد ومسمار النظارة

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى



رسوم

نسيم


الناشر

مكتبة مصر

شارع كامل صدقى الفجالة

## الحفيد ومسمار النظارة

ذاتَ يومٍ سقطَ المسمارُ الدقيقُ الذي يربطُ ذراعَ نظّارتي ، فطلبْتُ من حفيدي ، وكان عمرُهُ ٨ سنواتٍ ، أن يستخدمَ " المفك " لإعادةِ المسمار إلى مكانِهِ .

ورغمَ مهارتِهِ في مثلِ هذهِ الأعمالِ ، فقد سقطَ منه المسمارُ الدقيقُ فوقَ سجادةٍ ملوّنةٍ ، فلم نستطعِ العثورَ عليه .

وفي هدوءٍ ، اصطحبْتُ حفيدي إلى محلِّ إصلاحِ النظاراتِ ، حيثُ وضعَ " النظّاراتي " مسمارًا آخرَ .

وعندما خرجْنا ، سألْتُ الصغيرَ : " هل لاحظْتَ ما الذي كان الرجلُ يضعُهُ تحتَ النظارةِ ، وهو يقومُ بإصلاحِها ؟ "

أجابَ الصغيرُ : " كانَ يضعُ مفرشًا أبيضَ وهو يثبِّتُ المسمارَ في مكانِهِ ، حتى يجدَهُ بسهولةٍ إذا سقطَ . "

قلْتُ له : " أنا سعيدٌ لأنك حاولْتَ إصلاحَ النظارةِ ، وأكثرُ سعادةً لأنك اكتشفْتَ كيف يتفادى صانعُ النظاراتِ ضياعَ المساميرِ الدقيقةِ إذا سقطَتْ منه . "

وبعد أسبوعَيْنِ جاءَني حفيدي يقولُ من تلقاءِ نفسِهِ : " جدّي ..

أرجو أن تُعطيني نظارتك ، لأقومَ بتثبيتِ مساميرِها قبلَ أن ينفصل ذراعُها ، كما حدثَ منذ أسبوعَيْن . "

قلتُ لنفسي : " لقد وجَّهْتُ الصغيرَ إلى طريقةِ معالجةِ الخطأ ، بأسلوبٍ لا يتعارضُ مع ثقتِه بنفسِه، وشعورِه بتقديري له ، فدفعَه هذا إلى مزيدٍ من الإقدامِ والخبرةِ والمهارةِ . "



## أيتها الأم .. ماذا فعلت بابنك ؟!

كانتِ الأمُ تحدثُني بحماسٍ عن مشاغلها في البيتِ والعملِ ، عندما طلبتُ منها كوبَ ماءٍ . والتفتتْ إلى ابنِها " خالد " وقالتْ: " أحضرْ لعمِّكَ كوبَ ماءٍ . "

وبعدَ قليلٍ خرجَ خالد من المطبخِ وهو يمسكُ في حرصٍ ، بأصابعِه العشرةِ ، كوبَ ماءٍ ممتلئًا حتى الحافةِ . وفجأةً تركتْ أمُّهُ ما كنا نتحدثُ فيه ، وصاحتْ مؤنبةً ابنَها: " ما هذا الذي فعلتَ ؟! لقد أفسدتَ السجادةَ بالماءِ .. أنتَ خائبٌ !"

وبعدَ أسبوعينِ ، عدتُ لزيارةِ نفسِ العائلةِ ، وتعمَّدتُ أثناءَ الحوارِ أن أطلبَ كوبًا من الماءِ . وعادتِ الأمُّ تطلبُ من خالد أن يُحضرَهُ



لى . ودخلَ خالد المطبخَ ، لكنه لم يخرجْ منه . وفجأةً اندفعَتِ الأمُّ إلى المطبخِ ، وسمعْتُ صوتَ صفعةٍ والأمُّ تصيحُ بخالد :" لقد أصبحْتَ عنيدًا ، ولم تعدْ تستجيبُ لأىّ طلبٍ .."

وعندما عادَتْ غاضبةً ، قلْتُ لها:" اهدئى ، فتصرُّفُكِ فى المرةِ الماضيةِ ، هو السببُ فيما فعلَهُ خالد اليومَ ."

قالَتْ فى استنكار:"هل كنْتَ تُريدُ أن أتركَهُ يُفسِدُ السجادةَ ؟"

قلْتُ لها:" كانَ يجبُ أن تُشجِّعيه لأنه أحضرَ الماءَ ، ثم تُوضِّحى له بهدوءٍ أن عليه إنقاصَ الكوبِ فى الحوضِ قبلَ إحضارِهِ ، وبهذا تُعطيهُ الثقةَ بنفسِه ، وبقدرتِهِ على تعديلِ سلوكِه ، بغير هذا الإحباطِ بل الإهانةِ ، التى جعلتْهُ يمتنعُ عن الاستجابةِ لأىِّ طلبٍ منكِ بعد ذلك ."



# يبكى ولا يخاف !!

كُنْتُ أشاهدُ فى التليفزيون برنامجًا عنوانُهُ " طرائف منزلية " ، وفى إحدى لقطاتِه ، رأيْتُ طفلاً فى الشهرِ السابعِ من عمرِه ، يجلسُ فى حضنِ أمّه ، وبجوارِه لعبةً بها أزرارٌ ملوّنةٌ .

ومَدَّ الطفلُ يدَهُ ، وضغطَ على أحدِ الأزرار ، فصدرَ عن اللعبةِ صوتُ بطةٍ تصيحُ : " كواك .. كواك " !!

وكانَ الصوتُ مُرتفعًا ومُفاجئًا ، فانزعجَ الطفلُ ، وانفجرَ يبكى ، وهو يُسرِعُ لِيُخفِيَ وجهَهُ فى حضنِ أمّهِ !

وبعدَ لحظاتٍ ، هدأ البكاءُ وتوقّفَ . وفوجئْتُ بالطفلِ يتّجِهُ ثانيةً ناحيةَ اللعبةِ ،ويمدُّ يدَهُ مرةً أخرى ، ثم يضغطُ على نفسِ الزرِّ الذى سبقَ أن انزعجَ منه !!

وكانَ طبيعيًا أن يرتفعَ نفسُ الصوتِ العالى ، الذى أصبحَ يمثّلُ خبرةً جديدةً للطفلِ : " كواك .. كواك " .

وللمرةِ الثانيةِ انفجرَ الطفلُ فى البكاءِ ، تعبيرًا عن نفسِ الانزعاجِ الذى سبقَ أن أحسَّ به ، وعادَ يحتمى فى صدرِ أمّهِ !

قلْتُ لنفسى : " إن الرغبةَ فى المعرفةِ والاستطلاع ، قد دفعتْ هذا الطفلَ إلى معايشةِ نفسِ الخبرةِ مرةً ثانيةً ، على الرغمِ مما سبّبَهُ

له الصوتُ الغريبُ المفاجئُ العالى من انزعاجٍ " .

" إن الدافعَ إلى الاستطلاعِ عند صغار الأطفالِ ، بل وكبارهم ، أقوى دائمًا من الأذى والمخاوفِ التى قد يُسبِّبُها لهم حبُّ المعرفةِ . وهذا هو سرُّ تقدُّمِ الإنسانِ . "



## مغامرة فى سلم مظلم !

ذاتَ ليلةٍ اصطحبْتُ أحدَ أقاربى إلى عيادةِ طبيبٍ مشهورٍ ، بالدور الرابعِ فى عمارةٍ حديثةٍ ، فوجَدْنا المصعدَ مُعطّلاً . واضطرِرْنا أن نتَّجِهَ إلى السلمِ ، فوجَدْناه غارقًا فى ظلامٍ شديدٍ . وبعد بحثٍ طويلٍ ، عثَرْنا على مفتاحِ الإضاءةِ .

وعندما ضغطْنا عليه ، اكتشفْنا أنه ليستْ هناك مصابيحُ ، أو أنها مُحترقةٌ لا تُضيءُ .

وأمسكْنا بسور السُّلَّمِ ، وأقدامُنا تتحسّسُ الدرجاتِ ونحن نصعدُ . عندئذٍ فوجئْنا بأقدامِنا تدوسُ أو تصطدمُ بأشياءَ مختلفةٍ مُلقاةٍ على



الأرضِ ، فأشعَلْنا عودَ ثقابٍ لنتَبيَّنَ طريقَنا . وكم كانَتْ صدمتُنا عندما وجَدْنا درجاتِ السلمِ مُغطَّاةً بطبقةٍ كثيفةٍ من الترابِ والقمامةِ .

وعندما وصَلْنا في النهايةِ إلى بابِ العيادةِ ، وفتحَهُ لنا مساعدُ الطبيبِ ، فوجِئْنا بنورٍ باهرٍ يغمرُ المكانَ ، الذي كان كلُّ ما فيه يتلألأ ، وينطقُ بالفخامةِ والثراءِ !!

والتفتُّ إلى قريبي ، ودارَ بيننا حديثٌ صامتٌ ، وكلُّ واحدٍ منَّا يسألُ زميلَهُ :

" كيف نطمئنُّ إلى خبرةِ مَنْ يشغلون هذه العمارةَ ، من كبارِ الأطباءِ والمهندسينَ والمحامين ، والذين تكلَّفَتْ مكاتبُهم وعياداتُهم مئاتِ الألوفِ من الجنيهاتِ ، وقد قبلوا أن يتركوا ما هو خارجَ أبوابِهم ، على هذا الشكلِ المؤذي للبصرِ والصحةِ ؟ !! "

ولولا حاجةُ قريبي الشديدةُ لزيارةِ الطبيبِ تلك الليلةَ ، لعُدْنا من حيثُ أتيْنا ، بغيرِ أن ندخلَ !!



# لغة الوجوه

في قاعةِ المعارضِ المتّسعة بمبنى الأهرامِ ، وقفتُ أمامَ لوحةٍ من تصويرِ الفنانِ الدكتور " رمسيس مرزوق " ، المُصوِّرِ السينمائيِّ المعروفِ .

إنها صورةٌ فوتوغرافيةٌ ، يسقطُ فيها الضوءُ على وجوهِ اثنتيْ عشرةَ سيدةً . أما بقيةُ الصورةِ ، فليس فيها إلا درجاتٌ من اللونَيْنِ الأسودِ والرماديِّ ، فالصورةُ تُعبّرُ عن مجلسٍ للعزاءِ .

استغرقتُ أتأمَّلُ ملامحَ الوجوهِ ، في محاولةٍ لأن أقرأ مدى قرابةِ صاحبةِ كلِّ وجهٍ للشخصِ الذى اجتمعوا بسببِ رحيلِه .

وكان أولَ ما استوقفنى ، وجهُ تلك الشابةِ التى تتوسَّطُ الصورةَ ، وهمستُ لنفسى :

" لا شكَّ أنها أقربُ الناسِ إلى الراحلِ أو الراحلةِ . " فقد كانتِ العينانِ مُنكسرتَيْنِ تنظرانِ إلى الأرضِ ، والشفتانِ مُنطبقتَيْنِ في أسى ، والفمُ يستندُ إلى قبضةِ اليدِ المُمسكةِ بمنديلٍ ، والحزنُ العميقُ على الملامحِ أقوى من الدموعِ المُتجمِّدةِ .

أما تلك التى جلستْ في أبعدِ مكانٍ ، فلم تكُنْ ملامحُها الساكنةُ الهادئةُ توحى بشىءٍ . لقد جاءتْ للمجاملةِ ، ولا شىء يربطُها بالراحلِ أو أسرتِه .

وهذه التى فى أقصى اليسار ، تحاولُ أن تبدُو حزينةً ، لمُجرَّدِ إظهار مشاركتها أسرةَ الراحل فى مشاعرهم ، فهى أقربُ إليهم من قرابتها للراحل .

وأخيرًا توقفتُ أمام وجه تلك الجدةِ العجوز ، بنظارتها السميكة ، ووجهها الذى يبدو كأنه منحوتٌ من الصخر . إنها سيدةٌ عانَتْ كثيرًا فى حياتها ، حتى أصبح ما تراهُ الآن على وجهها من حزنٍ واسى ، مُجرَّد قمة جبل جليدٍ يختفى مُعظمُهُ تحت سطح الماء .

قلتُ لنفسى : " هذا معرضٌ سأملُ فيه بلاغة لغة الوجوه الناطقة . "



# حديث الوجه والصوت

كانت الأمُّ تبتسمُ وتضحكُ وهي تقولُ لابنها ، الذي بلغ ثمانية شهور من عمره : " أتعبتني.. لا أعرفُ متى أنـامُ بسببك " . ورغم



شكوى الأمّ ، ابتسمَ الطفلُ لابتسامةِ أمّهِ ، بل ضحكَ وطوّقها بذراعَيْهِ .

وفي مرةٍ ثانيةٍ ، كانتِ الأمُّ مُتعبةً مُرهَقةً ، فصاحتْ في طفلها: " تعالَ أرضعك !! " ، فانفجرَ الطفلُ باكيًا ، مع أنه كانَ جائعًا ، يحتاجُ بشدةٍ إلى الرضاعةِ .

حدّثتْني إحدى الأمهاتِ عن هذيْنِ الموقفَيْنِ ، فقلتُ لها :

"لقد فهمَ الابنُ في المرتَيْنِ الرسالةَ المُوجَّهةَ إليه ، من لهجةِ الصوتِ وملامحِ الوجهِ ، ولم يفهمْ معانيَ الكلماتِ والجملِ . وكان ردُّ فعلِه بالضحكِ أو بالبكاءِ ، نتيجةَ ما فهمَهُ من تلكَ اللغةِ غيرِ المنطوقةِ ، التي نقولُ بها أحيانًا عكسَ ما نعبّرُ عنه بالكلماتِ ، ونستخدمُها كثيرًا في حياتِنا ومع أطفالِنا ، ويستخدمُها أطفالُنا معنا أو فيما بينهم ، وهي لغةٌ أصبحتِ الآنَ محلَّ اهتمامٍ شديدٍ ممن يدرسونَ أساليبَ الاتصالِ بين البشرِ . "

ثم عرضتُ عليها كتابًا ، ليس فيه إلا مجموعاتٌ من الصُّوَرِ ، تُبيّنُ تعبيراتِ الوجهِ وأوضاعَ الجسمِ في حالاتٍ مختلفةٍ ، مثلِ السعادةِ والغضبِ والشجاعةِ والخجلِ الفخرِ ، لتساعدَ الأطفالَ على إتقانِ التعبيرِ عن أنفسِهم بهذه اللغةِ غيرِ المنطوقةِ ، وأن يُحسِنوا فهمَ الآخرين عندما يتحدّثونَ إليهم بغيرِ كلماتٍ .

# من الذى يثور فى نهاية السباق ؟

منذ ٢٦٠٠ سنة ، والعالمُ يتناقلُ قصةَ "إيسوب" ، القصاصِ اليونانىِّ القديمِ ، التى تحكى حكايةَ " السلحفاة الحكيمة " ، التى تسابقَتْ مع " الأرنب النطاط " !

وكلما أحكى هذه القصةَ ، يضحكُ الأطفالُ كثيرًا من الأرنبِ الذى كان يُجيدُ النطَّ ولا يُجيدُ التفكيرَ ، والسلحفاةِ التى كانتْ تسيرُ ببطءٍ ، لكنها تتعلَّمُ فى كلِّ يومٍ شيئًا جديدًا . ومن أهمِّ ما تعلَّمَتْهُ ، أن



ذلك الأرنبَ كان يشغلُ كلَّ وقتِه باستعراضِ قفزاتِه العاليةِ ، فلم يجدْ وقتًا ليفكّرَ .

لذلك عندما سمعَ الأرنبُ أن الدبَّ يسخرُ منه قائلاً : " لا فائدةَ من استمرارِه في تكرارِ تلك الحركاتِ المُملّةِ .. إنه حتى إذا دخلَ في اختبارٍ مع السلحفاةِ ، فإنها ستسبقُه " ، ظنَّ الأرنبُ أن الدبَّ يتحدّثُ عن سباقٍ في الجرى وليس في التفكيرِ ، لذلك سرعانَ ما ذهبَ إلى السلحفاةِ ، يتحدّاها لكي تُسابقَه .



وكلُنا نعرفُ بقيةَ القصةِ ، وكيف أن جهلَ الأرنبِ قد أغراهُ أن ينامَ أثناءَ السباقِ ، مُتصورًا أن السلحفاةَ لا يُمكنُ أن تسبقَهُ !!

ثم أحكى للصغار ، كيف أن الفيلَ جاءَ فوجدَ السلحفاةَ تقفُ هادئةً مبتسمةً ، بينما الأرنبُ ثائرٌ يسبُّ ويشتمُ .

ولم يقلِ الفيلُ شيئًا، فسألهُ الدبُّ : " لقد انتهى السباقُ ، فلماذا لم تسألْ عمن فازَ فيه ؟ "

قالَ الفيلُ : " لقد عرفْتُ من غيرِ سؤالٍ ، فالفائزُ ليسَ في حاجةٍ إلى أن يثورَ ويسبَّ الآخرين !! "

